

# الأساقفة القديسون الأربعة باسم اغريغوريوس

وهو يحوى ترجمة مفصلة للثلاثة اغريغوريوس بين بمجمع القديس  
والقديس أسقف نيقيا

القديس اغريغوريوس  
صانع المجائب

القديس اغريغوريوس  
الناطق بالإنجيليات

القديس اغريغوريوس  
أسقف نيقيا

القديس اغريغوريوس  
الأرميني

يوسف حبيب

هايسكه حبيب يوسف

(٢)

(١)

# القدّيس أغريغوريوس الثاؤلوغوس

بطريرك القسطنطينية

(المعروف بالزبدي وبالناطق بالإلهيات)

مترجم من الجزء الخامس من مجموعة :

Les Petits Bollandistes

Vies des Saints

(٧)

القديس اغريغوريوس الناطق بالالهيات

نشأته :- كان أبوه أسقف نزينز واسمه اغريغوريوس أيضاً.  
وأمه «نون Nonner» ، وهما قدسان تكرمهما الكنيسة . استدرت  
أمه بركات السماء لاسرتها بحسناتها الكثيرة . ولم تحمل بحبتها  
الفقراء دون القيام بواجبات البر نحو أولادها ، فعرفت كيف  
تحافظ على أموالهم وأيضاً تزيدها بتدبيرها الحكيم . وكانت  
التدابير التقوية تستغرق جزءاً كبيراً من وقتها ، ولكنها  
كانت شديدة الحرص على القيام بواجباتها .

وكان اغريغوريوس زوجها يتبع الحزبيلات الوثنية منذ  
طفولته . وصار المستشار الأول لمدينة نزينز ، وكان يقوم بواجبات  
وظيفته بأمانة ، وكانت له كل الفضائل الأدبية التي يمكن ان يصف  
بها شرفاء هذا العالم ، ولم يكن ينقصه سوى أن يكون مسيحياً .  
وكانت «نون Nonne» تلجأ إلى الدعوى والصلوات إلى الله  
لكي تفوز بتحويله . واستجيب الدعاء أخيراً . فأنكر زوجها.

الديانة الوثنية ، واعتمد في « نزينز » Nazianze حوالي سنة ٣٢٥ .  
وحرص على الحفاظ على نعمة المعمودية ، فاستحق بعد ذلك أن  
يعتلى كرسي « نزينز » الأسقفى ، وحكمها حوالي خمسة وأربعين  
سنة . ثم تبيح وعمره تسعين سنة . ونقرأ في مؤلفات ابنه تفصيل  
فضائله ، لا سيما حماسه وتواضعه .

وأنجب قبل أن يصير أسقفاً ثلاثة أطفال : إبنة تدعى  
« جورجوني » Gorgonie ، وابنين هما اغريغوريوس و« سيزير »  
Césaire . ولقب القديس اغريغوريوس بالناطق بالالهيات  
بسبب معرفته العميقة بالدين ، وقد ولد سنة ٣٣٩<sup>١١</sup> في قرية  
« أزيانز » Azianze في منطقة « نزيانز » Nazianze بالقرب من  
مدينة قيصرية في كبادوكية ( تركيا حالياً ) . وقد رثته كارتيت  
اخوته أمه الثنية « نون » بنفسها في التقوى وعلتهم قسامة  
السكتب المقدسة .

ويعتد اغريغوريوس ثمرة صلوات أمه ، ولذلك كرسوه  
للرب منذ ولادته . وكان يتجاوب تجاوباً كاملاً مع العناية التي

(١) جاء في قاموس أكسفورد عن السكتبنة

The Oxford Dictionary of the Christian Church

صفحة ٥٨٧ أنه طاس من سنة ٢٢٩ إلى سنة ٣٨٦ .

يبلغها والذاه لتدريه في الفضيلة . وكانت معرفة الله هدفه الرئيسي .  
من وراء الدراسة . وحتى ينمو أكثر فأكثر في المعرفة ، عوّدت  
نفسه المواظبة على قراءة الكتب القوية . وقد رأى في شبابه  
حلياً عجيباً رواه لنا بهذه الصورة . قال :

« بدا لي في أرى امرأتين ذات جمال نادر ، إحداهما تمثل  
البثولية ، والأخرى ضبط النفس ، وكانتا تلاحظان كلين لهما  
وتدعوانني إلى إتباعهما . قالتا لي : تعال معنا وسوف نرفعك إلى  
نور الثالوث الأقدس الأزلي . »

ومنذ ذلك الحين صارت رغبة اغريغوريوس شديدة في  
حياة التبشيل . وتعرف من مؤلفاته انه كان على الاخص يميل إلى  
هذه الحالة المقدسة ، فوصف إمتيازها ومزاياها وصفاً مطولاً .  
وهو يتكلم بحماس شديد عن الإلتزام بالحفاظ على نذر البثولية ،  
ويدعو الحث بهذا النذر موتاً ، وانها كألفردسيات ، وغدراً .

ذهابه إلى اثينا : ولما أكل تعليمه بالقدر الممكن في مسقط  
رأسه ، ذهب إلى قيصرية فلسطين ، وذهب أخوه « سيزير »  
Césaire إلى الاسكندرية . وكانت في قيصرية المدرسة الشهيرة  
التي أسسها أوريجانوس ، ومكتبة تليذه القديس الشهيد « بافيل »  
Pamphile الشهيرة . ومن فلانين ذهب إلى الاسكندرية لزيارة

أخيه « سيزير » ، وقضى بعض الوقت معه ، وبعد ذلك أبحر إلى  
اثينا التي كانت تعتبر دائماً مركز المعارف والآداب .

لم يكن الوقت مناسباً . فقد هبت عاصفة استمرت عشرين  
يوماً . وفي لحظة ما امتلأت السفينة بالماء : حيثئذ دعا البحارة  
والرهبان ولم يكونوا عند ذلك يعترفون بأى إله ، دعوا جميعاً  
الرب يسوع المسيح بصوت عال ، فنجت السفينة . ولكن الماء  
العذب كان قد نفذ ، إذ أن الاوعية التي كانوا يحتفظون فيها بالماء  
العذب كانت قد سقطت في البحر على أثر هزة عيفة أثناء العاصفة .  
ثم تقابلوا مع سفينة تجارية فينيقية ، وكان ركبها ذوى مروءة  
وشجاعة فأعطوهم ماء عذباً . ولكن العاصفة لم تهدأ ، وفقد  
البحارة كل أمل . والشيء الذي كان يحزن اغريغوريوس أكثر  
من كل شيء ، هو أنه لم يكن قد اعتمد بعد . وكان ألمه عظيماً  
لدرجة أن البحارة أنفسهم كانوا يشفقون عليه . وكان يصلي إلى  
الله بدموع قائلاً انه بكرس من جديد حياته كلها ، إذا خلصه  
من هذا الخطر . واستجاب الله صلواته وهذأت العاصفة . بل أكثر  
من ذلك حدث أن كل الذين كانوا معه في نفس السفينة آمنوا  
بالمسيح ووصلوا بسلام إلى اثينا .

ان القديس اغريغوريوس يتكلم عن هذه المدينة بحماس .

ففي ذلك الحين كان هناك المليون المتازون ، ومن ضمنهم الخطيب  
« أناتوليوس » Anatolius الذي جعله الامبراطور قنسطس  
حاكماً ، و « ديوفنت » Diophante الشهور مخترع علم الجبر ،  
و « بروهيرزيوس » Proherésius أستاذ البلاغة الذي كان  
الامبراطور قنسطس قد استدعاه إلى بلاد الغال ( فرنسا ) ،  
وعندما مر بروما ثانية ، انجذبوا به لدرجة أن مجلس الشيوخ أقام  
له تمثالاً كتبت عليه هذه العبارة : « من روما ملكة العالم إلى  
ملك البلاغة » .

صداقته مع القديس باسيليوس : وازدادت سعادة  
اغريغوريوس كثيراً بوصول صديقه باسيليوس . كان قد سبق  
تعارفهما ؛ ولكن صداقتهما غدت حينئذ صداقة حميمة . فأقاما  
معاً وكانا يتناولان طعامهما على مائدة مشتركة ، وكانا لا يعاشران  
من زملائهما الاً أطهرهم وأهداهم . ويبدو أنهما ما كانا يعرفان  
سوى شارعين فقط من شوارع المدينة : الشارع المؤدى إلى  
الكنيسة والمعلمين الذين يعلون الإيمان ، والشارع الذي يؤدى  
إلى المدارس العامة والمعلمين الذين يعلون العلوم البشرية . وكانا  
يتركان للآخرين الشوارع التي يذهب الناس عن طريقها إلى  
المسارح والملاهى العالمية .

كان اهتمامهما كله مركزاً في تقديس الروح ؛ وكان طموحهما  
الوحيد هو أن يصبحا مسيحيين حقيقيين . وكانا يجملان في ذلك  
كل مجدهما . كانت حياتهما صارمة جداً ؛ وما كانا يأخذان من  
المال الذي ترسله لهما عائلتهما سوى القدر الضروري لشراء  
احتياجاتهما التي لا يمكن الاستغناء عنها ؛ وكان الباقي يوزع على  
الفقراء . فكأنما هادق النفس ، ولم يكن الحسد يسبب لها  
اضطراباً : الخير الذي يحدث للواحد كان يسبب فرحاً وسعادة  
للآخر . وكان الواحد يحث الآخر على فعل الخير . وفي غيرة  
مقدسة كانا يجتهدان في التفوق الواحد على الآخر في ممارسة  
الصوم والصلاة والتدابير التقوية المختلفة .

كانا رائدين من جهة التقوى ، كانا أيضاً أوليين في العلوم  
والآداب . وأثارت تلك المعرفة الكثيرة وتلك الفضائل الإيجابية  
لدرجة أنه حينما كان الناس يتكلمون عن اثنين وعن معلميهما  
المسافرين ، كانوا يذكرون الصديقين العجيبين باسيليوس  
واغريغوريوس ، اغريغوريوس وباسيليوس .

وقد أضافا إلى هذه المعارف الثمينة ، معرفة ضرورية أخرى ،  
هي معرفة الناس . وجاء الامبراطور يوليان إلى اثينا سنة ٣٥٥ ؛  
وتعرف عليه القديسان باسيليوس واغريغوريوس هناك ، لأنها

درسا معه لبعض الوقت المكتب المقدسة والآداب . وبالرغم  
من تنكّره ، وبعده عن الناس كانوا يستشفون من منظره ،  
اضطرابه النفسى .

وتوقع القديس اغريغوريوس في تلك الظروف سوءاً  
وصرّح بأن الامبراطورية كانت تزدى وحشاً في أحداثها؛ وكان  
يبنى تشاؤمه هذا على شىء عجيب مبهم يلاحظه الناس على ذلك  
الأمير . فكانت مشية يوليان مزعزعة ، هزاً اكتفاه ، ويحرك  
رأسه ، وكانت عيناه تائهتين وقلقتين ؛ يتكلم ويضحك كثيراً ؛  
وكان لسانه السريع لا يقوى دائماً على متابعة أفكاره ؛ فكان  
حديثه في بعض الاحيان متقطعاً ، وصوته متردداً ؛ وكثيراً ما  
كان يسأل أسئلة ويردّ ردوداً لا معنى لها أو تنقصها الصفة .

فمادته الينا : وأخيراً حضرت اللحظة المؤلة . فقد عزم  
القديسان اغريغوريوس وباسيليوس أن يغادرا اثينا بعد الدراسة  
ويقرّقا . وتأثرت كل المدينة . كان المعلمون والتلاميذ يحيطون  
بالمصنفين ويستحلقونهما أن يبقيا في المدينة . وشرح باسيليوس  
أسباب رجوعه إلى وطنه في بيان جعلهم يدعونه يذهب بالرغم  
منهم ؛ ولكنهم استبقوا اغريغوريوس وأزموه قبول وظيفة

أستاذ البلاغة . ولم يكن ذلك لوقت طويل ، لأنه بعد قليل انسحب  
في غير ضجيج لكي يذهب إلى صديقه في كبادوكية .

ووصل القسطنطينية في نفس الوقت الذى وصل فيه أخوه  
العظيم إلى الاسكندرية . وكانت شهرة سيزير ، أخيه حينئذ  
عظيمة جداً ، حتى أن مستشارى القسطنطينية عرضوا عليه لكي  
يستبقوه في تلك المدينة وكفلوا له مرتباً كبيراً وزججه بمشاة  
ووظيفة عضو في مجلس الشيوخ . وبنساء على طلبهم أعطاه  
الامبراطور قنطنس خطابات تحول له أن يكون من مواطنى  
المدينة ، وعينه طبيبه الأول . ومع ذلك استطاع اغريغوريوس  
أن يقنع أخاه بأن يرجع معه إلى مسقط رأسيهما ويكرس فيه له .  
أما اغريغوريوس ، فقد أراد أشخاص كثيرون أن يقنعوه  
بالمعيشة في القسطنطينية . كانوا يقولون له يمكنك أن تنضم إلى  
هيئة الخمامين أو تدرّس البلاغة ، وسوف تكون لك بذلك فرصة  
للإظهار مواهبك ، فتتقدم سريعاً في العالم . ولكن لم تستطع هذه  
الاحاديث أن تبهر القديس ؛ وكان ردّه . أنه ينظر إلى أبعد من  
ذلك ، وأن هدفه ألا يعيش سوى لله .

عناد القديس وتجديد حياته : وكان أول ما فعله عند وصوله  
إلى نيزنز أن يتقبل مسرّاً العهد من يد والده . ومنذ ذلك الحين

كرّم نفسه كلية لخدمة الله . وقد قال : « لقد أعطيت كل ما لي  
إلى الذي أخذته منه ، وقد أخذته وحده نصيباً لي ، وكرّست له  
كل أموالى ويجدى وصحنى ولسانى ومواهبى . وكل الثمر الذى كنت  
من هذه الميزات يمكن فى غيظتى باحتقار كل هذه الأشياء من أجل  
عجة الرب يسوع المسيح » .

وإذا كان قد مات عن العالم وعن كل مسرّاته ، لم يكن  
يتعسّم إلاّ من أجل الأمور الإلهية . كان طعامه الخبز والملح .  
وكانت ملابسه رديشة ، وكان يفرش الأرض الجرداء . كان  
يشغل نفسه أثناء النهار بأعمال «ضنية» ، وكان يقضى جزءاً كبيراً  
من الليل فى الصلاة أو فى التأمل فى السمكيات الإلهية . وبدأت له  
البلاغة الدنيوية التى كان قد درسها لمدة طويلة . وكذلك الأموال ،  
كأشياء أخرى بما الاحتقار . وقطع الدراسات لكسب المعارف  
الدنيوية . وكتب فى البلاغة أيضاً ؛ تركها كما يقول هو نفسه  
فغيب بها الدود والبعث . وما ضرروب الكرامة فى نظره إلاّ  
أحلام باطلة تُفترى الناس ؛ كان يحذر من الحفر التى يحفرها  
الطموح تحت أقدام عبيده . لم يُر فيه شىء يدل على تعلقه بالعالم  
وكأنه خارج العالم ، وليس له من حديث سوى حديث السماء .

ولم يمنعه ذلك من الاهتمام ببعض الوقت بإدارة منزل والده

وأعماله . وقد أُختبر صبره بأمراض قاسية . وكان اضطراب  
صحته نتيجة نقشفاته ودموعه التى كان باستمرار يسكبها بغزارة ،  
حتى أنها كانت تمنعه أحياناً من النوم . كان يتهلل فى أسقامه التى  
تعطيه الفرصة ليبارس الذنك وانكسر الذات . كان يتدد بمرارة  
بالضحك الكثير أيام شبابه ، الذى كان مردّه إلى طبيعه المفرط  
فى المرح . ومن كثرة معاركه ، وصل إلى ضبط حركات الغضب  
الغير إرادية ، وصار مالكاً لنفسه لدرجة أنه أصبح لا يبالي بكل  
الأمور التى كانت فيما مضى أكثرها تقبلاً عنده . ولقد جعلته  
صدقائه المستمرة أفقر الناس ، وذمبت أمواله لسلك الذين فى  
حاجة كمثل الميناء لسلك الذين فى البحر . وليس أحبّ إليه من  
العزلة والصمت . كان يتن للاضطرابات التى تجرّها الرغبة فى  
السلام ، ولتلك العادة الرديئة التى كانت لبعض الناس ، يريدون  
أن يجعلوا أنفسهم سادة الجنس البشرى .

مضى زمن طويل والقديس اغريغوريوس يرغب فى قطع  
كل ارتباط مع الناس ، لىكى يتفرّغ بأكثر حرّية لخدمة الله .  
وحقّ يشبع هذه الرغبة ، ذهب سنة ٣٥٨ ليضم إلى القديس  
باسيليوس الذى كان يحيا حياة التواحد ، بالقرب من ترعة  
« ايريس » Iris فى مقاطعة « بيط » Pont . كانت الاسهار

والاصوام والصلوات مصدر لذة بالنسبة لهذين الرجلين العظيمين .  
وكان يضيفان إلى ذلك عمل الأيدي وترتيب المزامير ودراسة  
الكتاب المقدس .

رسامته قسا : ولم يبق القديس اغريغوريوس في الوحدة  
سوى الوقت السكافي الذي يجعله يتذوق حلاوتها . ثم طلبه أبوه  
الذي كان عمره أكثر من ثمانين سنة ، ليساعده في إدارة  
أبروشيته . وحتى يكون عونا له ، رسمه قسماً بالرغم منه ، في  
الوقت الذي كان لا يتوقع فيه ذلك . وقد أتبع هذه الطريقة لأنه  
كان يعرف موقف ابنته تجاه السكهنوت ، ويعلم الصعوبة التي كان  
لا بد من مواجهتها لاقناعه بأن يتقبل وضع الأيدي . ويذكر  
المؤرخون عامة هذه الرسامة على أنها تمت في يوم الميلاد من  
سنة ٣٦٦ .

وقد شك القديس من هذا القهر . ولم تسكن له تمزية بسبب  
رسامته ؛ فهرب وذهب لمقابلة صديقه القديس باسيليوس لكي  
يشكو له الالم الذي يحزه . كان السكثيرون لا يوافقونه على تصرفه  
فكان بعض الناس يقولون أن هروبه يرجع إلى الكبرياء والعناد  
أو إلى سبب آخر مماثل . ومرعان ما حكم القديس اغريغوريوس  
على نفسه ، واستوحى تأملات أخرى من عقوبة يورنان النبي إذ

عوقب لانه عصى أوامر الله ، فرجع إلى نزيه وكان قد ضايع  
عنها لمدة عشرة أسابيع ، ووعظ بها لأول مرة في يوم عيد القيامة .

وتبع هذا المقال مقال ثاني بعنوان ودفاع ، برر فيه القديس  
هروبه . ان مادة هذا المقال هامة جداً . وفيه يتسكلم القديس  
اغريغوريوس عن كرامة السكهنوت وما له من الخطر ، وعن  
واجبات السكينة ، وعن القداسة المطلوبة للتقرب من الهيكل ،  
والموقف أمام الله الذي هو الطهارة ذاتها . كذلك يتكلم عن  
صعوبة توجيه الضمائر ، واعطاء الادوية المناسبة لمختلف امراض  
الارواح ، وعن العلم اللازم للسكينة المقدسين حتى يستطيعوا أن  
يقطعوا شكوك المؤمنين ويحذروا الضلالات . ويخرج من هذه  
التفاصيل جميعها أنه كان محقاً فيما توجهه من خوف وهو يرى  
الحل الذي هو أن يحملوه إياه ، وأنه كان يلزمه على الأقل أن  
يستعد لبعض الوقت للسكهنوت بالصلاة والتوبة والتأمل . ويضيف  
إلى ذلك قوله : « أن خشية الحساب الرهيب الذي يطلبه الله عن  
قيادة الارواح كان حقاً ما جعلني أرفض هذا العمل لبعض  
الوقت ؛ ولكن ، مثل يونان آخر ، عدت لكي أكل واجبات  
الدعوى التي دعيت إليها . وأرجو أن تسندني الطاعة وسط الاخطار  
وتكون سبباً في أن يعطيني الله النعم التي أحتاج إليها . »



حكيمته في مساعدة والده الأسقف : في المقال الذي تكلّمنا عنه هنا ، يمدح القديس اغريغوريوس كنيسة نريز من أجل وحدة أعضائها وتعلّمهم بالإيمان الصحيح . وللأسف قد اضطرب حبل هذه الوحدة عند نهاية عهد يوليانوس . فقد وقّع أسقف نريز ( والد القديس ) على خطاب كتبه أتباع الأريوسية السريين ، كتب بعبارة مشكوك في صحتها وفعل ذلك من باب المجاملة لبعض الأشخاص الذين كان يرجو أن يدخلهم إلى حظيرة الكنيسة ، ولكن هذا المسمى المشهور قد أعثر أتباعه ، وقد رفض أكثرهم حماساً ، وبالأخص الرهبان ، أن يتجاوزوا معه . وإذ رأى إبنه العواقب الوخيمة التي عسى أن تكون وراء هذا الانقسام ، جعل كل همه في وأده منذ البداية ، واستطاع ان يقدد الناس بمهارة حتى صالح تماماً الرعية مع الراعي . وجمع في ذلك بين الحزم والوداعة ، حتى انه لم يعط بالاً لاضلالة أولئك الذين سرّوا والده إلى الخطأ حتى انزعوا منه ترفيقه مما جعل الناس يشكون في صحة إيمانه . وقد ألقى خطاباً رائعاً بمناسبة إعادة السلام في كنيسة نريز .

وبعد وفاة يوليان ، ببعض الوقت وضع القديس كتابين ضد هذا الأمير المرتد عن الإيمان . وهو يتكلّم فيها بنفس القوة التي

عول عليها الإنبياء عندما كانوا ، بأمر الله ، يوبخون الكفارة من الملوك على جرائمهم . وكان هدفه الوحيد هو الدفاع عن الكنيسة ضد الوثنيين ، يكشفه ما كان عليه أكثر مضطهديه خطراً من الظلم والظلال والنفاق .

**رحيل أخيه واخته :** وفي نهاية الأمر شهد القديس اغريغوريوس أخاه سييريس Césarre يرحل من العالم ، وتصرى انه لا ينجو إلا الله ، اختطفه من الموت في بداية سنة ٣٦٨ . ودفن سييريس في نريز ، وأقرّت الكنيسة تكريمه . وقد ألقى القديس اغريغوريوس خطاباً يرثيه فيه ، ويشير في التوبة بفضائله انه وسط الكرامات ، كان ينظر دائماً إلى فضل كونه مسيحياً . كأنه أول الكرامات وأن في ذلك أجد كل الألقاب .

وقد ألقى القديس اغريغوريوس أيضاً خطاباً يرقى فيه القديسة جورجوني ، Gorgonie اخته التي توفيت بعد ذلك بقليل ، وفيه يكشف عن حرارة صلاتها ، وتواضعها . وطاعتها واحترامها للكهنة وللأمور المقدسة ، وكرمها نحو الفقراء ، وتقشفاتها ، وحساسها من أجل تربية اولادها الخ . . . ويعتبر القديس فيه شفاء الشلل الذي أصابها ، أتمها صلاتها أمام المذبح ،

أمراً معجزياً ، وكذلك حفظ حياتها بعد الجروح الخطيرة التي أصيبت بها أثر سقوطها من عربتها .

الأسقفية : وفي سنة ٣٧٣ انضمت كبادوكية بأمر الامبراطور إلى مقاطعتين . فكانت عاصمة المقاطعة المسماة المقاطعة الثانية هي مدينة « تيان » Tyane وقد سبب هذا الانقسام في اضطراب الكنيسة . كان « أنليم » Anthime أسقف « تيان » يزعم لنفسه الرئاسة على كبادوكية الثانية . وقد اعترض القديس باسيليوس على هذا الزعم ، وطالب بحقه كرئيس أساقفة قيصرية ، واحتج بأن التقسيم المدني لا يجرمه من صفته كأسقف كبادوكية . ولكن محبة للسلام جعلته فيما بعد يقدم بمض التنازلات ، فوافق على اعتبار كرسي « تيان » كعاصمة كبادوكية الثانية .

وفي إبان النزاع ، اختار القديس باسيليوس صديقه اغريغوريوس ، أسقفاً على مدينة « سازيم » Sasimes ، التي كانت في المقاطعة موضوع النزاع . وطارض اغريغوريوس هذا الاختيار . ولكنه نزل عن رأيه أخيراً لسلطة أبيه بمنحة مع سلطة صديقه . وقد رسمه القديس باسيليوس في قيصرية في منتصف سنة ٣٧٣ . وبعد الاحتفال رجع إلى نزيب لينتظر فرصة مناسبة لدخول الكنيسة ، ولم تمنح هذه الفرصة أبداً . فقد منعه

« أنليم » Anthimes من الدخول إلى « سازيم » Sasimes ، وكان أسقف « تيان » . هذا قد كسب الحاكم الجديد لصالحه ، وكان مسيطراً على كل الوسائل . وإذا نسب القديس باسيليوس إلى القديس اغريغوريوس بأنه يقصه الشجاعة ، رد عليه الأخير بأنه ليس على استعداد للتناح من أجل كرسي الأسقفية .

على أنه قد حكم لإروشية والده الذي كان مسناً وتوفي في السنة التالية . وقد قام بنفسه بألقاء خطاب التأبين في جنازة هذا الشيخ الوقور ، في حضور القديس باسيليوس والقديسة « نون » Nonne والدة ، ولم تمكث على قيد الحياة إلا قليلاً بعد موت زوجها .

وكان في نيته بعد موت والده ، أن يمحي حياة الوحدة ، تلك الحياة التي كانت دائماً موضوع أحرار رغباته ، ولكن الناس اضطروا عليه كيلا يترك كنيسة نزيب ، فوافق على العناية بها إلى أن يعين أساقفة المقاطعة راعياً جديداً .

توحد القديس في سلوكية : وإذا كان هذا الأمر يطول جداً ، وكانت صحته من جهة أخرى مضطربة جداً ، اعتزل في سنة ٣٧٥ في سلوكية عاصمة ايزوريا Isaurie . وقضى خمس سنوات في هذه المدينة .

وكانت وفاة القديس باسيلوس في سنة ٣٧٨ ضربة قاسية بالنسبة له . وقد ألف ، تكريماً لصديقه ، اثني عشر خطاباً . وقد ألقى خطاباً عن سيرته بعد بضعة سنين أي سنة ٣٨١ أو سنة ٣٨٢ .

وإذ توقف الاضطهاد بسبب موت الامبراطور فالنس Valens الذي هلك بانسأ في سنة ٣٧٨ ، أعيد أخيراً السلام إلى الكنيسة . وبجهد الأساقفة سبيل اصلاح الفساد الذي صنعه الهرطقة ، ولهذا الغرض عقدوا عدة اجتماعات ، وقرروا إرسال بعض العلماء الغيورين إلى المناطق التي نال فيها التعاليم بحنة قاسية . وبين كل الكنائس ، لم يكن أسوأ حالا من كنيسة القسطنطينية التي كانت حينئذ منذ أربعين سنة تحت حكم الأريوسيين الطغاة . وقد ظل فيها المؤمنون القلائل الذين تبقوا بغير راع وبدون كنيسة أيضاً لمدة طويلة . بعد ذلك توجهوا إلى القديس اغريغوريوس وكانوا يعرفون مقدار علمه وبلاغته وتفواه ، واستحلفوه بإلحاح أن يهب لمعونتهم . ودعوا أساقفة كثيرين للانضمام إليهم ، حتى يتأكدوا من تحقيق مطالبهم .

وظلت هذه الالتفاتات كلها بدون جدوى بعض الوقت ، فلم يكن هناك شيء يستطيع أن يخرج القديس اغريغوريوس عن عزله في سلوكية ، حيث كان يعيش في حالة تجرد كامل من العالم .

مولدته اضطراب أخيراً أن يرضى . وحضر إلى القسطنطينية في سنة ٣٧٩ ليرأس هذه الأبرشية ، ولو أنه لم يكن من أبناؤها . واستقبلوه أولاً استقبالا سيئاً . فإذا كان أهالي تلك المدينة يحين للجفاء ، احتقروا الرجل الذي نال منه السن ، ذلك الاصلح ذا الوجه الذي ارتسم عليه الاجهاد بفعل الدموغ والنسك ، اللابس الملابس الخشنة ، وتبدو عليه في كل شيء - إمارات الفقر المدقع . وجمسه الأريوسيون موضع استهزائهم : فأهانوه وشوهوا سمعته أيضاً باقتراءاتهم . وبات الاضطهاد عاماً ، فسلك السكيا مثل طاعة الشعب ، ياملون رجل الله بأسلوب غير لائق مطلقاً ، ولكنهم في ذلك لم يأتوا بشيء سوى إعطائه الفرصة لكي يكتسب لقب « المعترف » المجيد .

وأقام القديس اغريغوريوس عند بعض أقاربه في القسطنطينية وكان الأردن كسيون يحتمون في بينهم لكي يسموه . وبعد بعض الوقت ، حوّل هذا البيت إلى كنيسة ودعاها باسمه أناستاسية ، أو قيامة ، لأنه هناك بعث الإيمان القويم إلى الحياة ، بعد المعاناة من الضغط في هذه المدينة حتى ذلك الوقت ، ونقرأ للتورخ « سوزومين ، Sozomene أن اسمه أناستاسية ، قد دُعي على هذه الكنيسة بمجزة . يقول هذا الكاتب أن امرأة حامل سقطت

هناك من الدور العلوى قاتت ، ثم قامت حية بفاعلية صلوات  
المؤمنين المحتدمين . وحسبى سنة ٤٦٠ ، كما يروى المؤرخ  
« تيودوره ، Théodoret ، وضعوا في الكنيسة جسد القديسة  
أناتاسية البتول الشهيدة ، بعد أن نقلوه من « سيرميخ ،  
Sirmich إلى القسطنطينية . ويلزم الا<sup>١</sup> نخلط بين هذه الكنيسة  
وبين كنيسة أخرى تحمل نفس الاسم ، كانت في ايدى « النوفاتيين ،  
les Novatiens ، في عهدى قنسطس ويوليانيوس الكافر كما  
يروى ذلك سقراط Socrates .

وكان القديس يواظب على التعليم في كنيسته الصغيرة ، وكان  
يرى بفرح أن عدد سامعيه يزداد يوماً بعد يوم . واجتمع  
الاريسيون والابوليناريون مع هرطقة آخرين مختلفين يحاولون  
أن يعرفوا نجاح خطبه ، فيفترون عليه بادعاءات فضيحة ، ويلجأون  
ايضاً إلى العنف . فسكانوا يطاردونه في الشوارع ويرمونه  
بالحجارة ، ويقدمونه للحاكمة كأنه مشاغب يؤلب الشعب .  
وكان القديس يتحمل في صبر كل هذه المعاملة الشريرة . وكان  
يقول لنفسه : « صحيح ان جانب الهرطقة هو الاقوى ، ولكنى  
أجاهد من أجل إحقاق الحق ، وأنهم إذا كانوا يمتلكون الكنائس .

فإن لى الله بجاني . فلا يفتخرون بعد لأن الشعب في جانبهم ، أن  
الملائكة معى يحرسونى ويدافعون عنى .

كان الراعى القديس يحيا حياة الوحدة التامة ، لم يكن يقوم  
أبدأ بأية زيارات ، الا<sup>٢</sup> إذا اضطرته الضرورة إلى ذلك ،  
يكرس الوقت الذى لم يكن يقضيه في وظائفه الكهنوتية للتأمل .  
ولم يكن يقنات إلا بالخبز وبعض الاعشاب المصلحة بقليل من  
الملح . وتظهر على حدبه آثار الدموع التى كان يسكبها بصفة شبه  
مستمرة . كان يتوسل ليلا ونهاراً إلى الله أن يرحم رعيته . ولم  
يسع كل الذين كانوا يسمعونه إلا أن يتعجبوا من عله العميق .  
ومن الموهبة النادرة التى جعلت يصير الحقائق المنوثة ملبوسة .  
معبراً عن نفسه تميهاً واضحاً بديعاً . وإذا استألس الهرطقة  
والوثنيون رويداً رويداً ، ذهبوا ليستمعوا إليه على سبيل  
الفضول ، وبالرغم من آرائهم المسبقة عنه ، اضطروا أن يعترفوا  
بسمو استحقاقه . وأصبحت نتيجة مقالاته ملبوسة بالاكثريوماً  
بعد يوم . فإزداد عدد المؤمنين أكثر فأكثر . وفتح أتباع  
الضلال عيونهم ، يتعجلون العودة إلى حضن الكنيسة .

وكان هناك أمر واحد يحزن القديس : وهو التصفيق الذى  
يصاحب سماع مقالاته ، فكان يخشى أن ينال سم المجد الباطل من

قلبه ، وجملة هذه الحثية لا يتكلم جهراً إلا بشيء من الاستحياء .  
والحرج . وما كان أحد يأخذ عليه مطلقاً مدحه العظيمة . فهدف  
مقالته الوحيد هو شرح الإيمان القويم وتثبيتته ، وإصلاح ما فسد  
من الاخلاق . كان يقاوم بشدة عادة النزاع حول المسائل الدينية ،  
وكانت منتشرة جداً في ذلك الوقت في القسطنطينية . وبحسب  
رأيه ، أن طريق الخلاص مغلق أمام كل الذين يتملكهم روح  
النزاع . ولا يمكن للمرء أن يذهب إلى السماء بغير حفظ وصايا  
الرب . فيلزم لذلك الحرص على إداء الصدقة ، وممارسة الضيافة ،  
وزيارة المرضى وخدمتهم ، وأن أصل وثن على خطاياها ، وتخفض  
حواسنا ، ونضبط ثورات الغضب ، ونصون على الدوام لساننا ،  
ونقمع شهوة الجسد .

واجتذبت فضائل القديس اغريغوريوس ومواهبه عدداً  
كبيراً من الناس حوله . فترك القديس ( جيروم ) ايروليموس  
St Jerome صحارى سوريا لكي يحضر إلى القسطنطينية ، واصطف  
ضمن تلاميذ القديس ، ودرس الكتاب المقدس تحت اشرافه .  
وكان يقنن بأنه يتلذذ على يد مثل ذلك المعلم ، كما نرى ذلك  
في كتاباته .

وحرك النجاح العجيب لأعمال القديس اغريغوريوس حسد

ابليس وجنوده . وكان من هؤلاء الاخيرين رجل مسيحي زائف  
يشتمل بالفلسفة ، هو مكسيم ، Maxime الشهير المولود بمدينة  
الاسكندرية . هذا الماكر المملوء من عدم الحياء والكبرياء  
الذي تمتاز به شيعته ، ذمب إلى القسطنطينية حيث استطاع أن  
يخفي بريائه الاستعلاء الذي كان يأكل صدره ، ورذائله الاخرى  
أيضاً . واقع أولاً بعض الأشخاص . ووقع القديس اغريغوريوس  
نفسه في شركه فدسه في سنة ٣٧٩ .

رجح هذا الذمب المتكرر في شكل حمل علاني بين كثيرين وكانها  
شريعة ، وبعد ذلك جعلهم يرسمونه سرّاً أسفلاً على القسطنطينية .  
ووضع عليه الايادي بعض الاساقفة المصريين الذين كانوا قد  
حضروا منذ وقت قصير لهذا الغرض . وأثارت رسامته غير  
القانونية كل العالم . وكتب البابا داما ، Damase طلباً  
يعرب فيه عن الالم الذي تسببه له مثل هذه الجريمة ، ويعلن فيه  
أن اختيار مكسيم يلزم أن يعتبر لاغياً .

وأظهر الامبراطور تيودوسيوس الكبير أيضاً اشترازه  
ضد الدخيل ، وكان الامبراطور في ذلك الحين في تسالونيكي .  
ولما حضر إلى القسطنطينية ، عرض على ديموفيل ، Démophile  
هو أسقف اريوسى ، إما أن يقبل تعليم مجمع نيقية ، وإما أن

يخرج من المدينة . فقرر أن يخرج من المدينة . ولما رأى  
الامبراطور ثيودوسيوس القديس اغريغوريوس ، أظهر له آيات  
تقديره ومحبه ، وقال له معانقاً أن المؤمنين القوميين يطلبونك  
أسقفاً عليهم ، واؤكد لك أن اختيارهم يتفق جداً مع رغباتي .  
وبعد وصوله بيضنة أيام ، رفع الكنائس من الاربوسيين ،  
وسلم القديس اغريغوريوس كنيسة القديسة صوفيا التي كانت  
تحتجها كل الكنائس الأخرى .

#### رسامته بطريركاً على القسطنطينية

أثناء الاحتفال ، طلب الشعب بصوت واحد أن يصير القديس  
اغريغوريوس بطريركاً على القسطنطينية . وكان الصياح الذي  
يسمع من كل جانب بسبب نوعاً من الاضطراب . فأوقف القديس  
ذلك قائلاً أنه في الوقت الحاضر يلزم الاله " يفكر أحد في شيء آخر  
غير شكر الرب لإعادته الإيمان القويم . وكان التواضع الذي  
أظهره القديس في هذه المناسبة موضع إعجاب الامبراطور .

وكانت هناك صعوبة بالنسبة اسكرمي القسطنطينية . فما كان  
يمكن شغله إلا بعد أن يقرر مجمع أنه شاعر ، ويعلم إتقاناً رسامة  
ديموفيل . وكذلك مكسيم . ولحسن الحظ كان أساقفة كل  
الشرق مجتمعين في القسطنطينية في ذلك الوقت ، ( سنة ٣٨١ ) ،

حوأن البطريرك ميليس الانطاكي كان يرأس المجمع . وقد وقف  
الآباء بناء على التماسه ، إلى جانب القديس اغريغوريوس التزينزي  
ورسموه بصفة قانونية بطريركاً على القسطنطينية دون النظر إلى  
الدموع التي كانت تنهمر من عينيه بسبب تواضعه .

ولما توفي القديس ميليس أثناء انعقاد المجمع ، رأس القديس  
اغريغوريوس جلساته الأخيرة . وبذلك كل ما في الوسع لكي  
يعيد السلام إلى كنيسة أنطاكية التي كانت مضطربة بسبب  
الانشقاق .

وزاد ذلك أعداءه : وحاولوا أن ينالوا من كرامته ، ولم  
يكتفوا بذلك ، بل حاولوا الاعتداء على حياته . وذات مرة ،  
كلفوا أحد القتلة أن يخلصهم من ذلك الرجل الذي كانوا يبعثونه  
جنساً شديداً . وسحبت السماء بالاه " تساعد الظروف غضبهم كما  
كانوا يرغبون ، إذ قدم القتائل واقترب من القديس والدموع  
تنساب من عينيه ، وهو يقرع صدره معترفاً بجرمته . فرد عليه  
القديس اغريغوريوس قائلاً : " ليغفر لك الله ذنبك ، فإن صلاحه  
الذي حفظني يتطلب أن أعفو عنك . انك بين يدي الآن بسبب  
جرائمك : ولكني لا أطلب منك إلا شيئاً واحداً ، وهو أن  
تبتكر لمرطقة وتهب نفسك باخلاص لله . كانت هذه الوداعة

مدعاة لأن يرحب الأسقف القديس أتباعاً كثيرين ، حتى من  
الارويبيين . كانت الرقة التي يدس بها أشد الناس عداوة له ،  
يقرها الجميع ما عدل بعض مؤمنين الذين كانوا يتفادون وفضلاً  
ثورة الخناس غير الحكيم .

وعندئذ وصل أساقفة مصر ومقدونية إلى المجمع . وعازوا  
انتخاب القديس ، بحجة إنه لا يتفق والقوانين التي تمنع نقل  
الأسقف من أبروشية إلى أخرى . فرد القديس بهدوء بأن القوانين  
المقدمة قد فقدت صلاحيتها في الشرق بسبب عدم اتباعها ، وهذا  
كان أمراً معروفاً ، ثم أضاف بأن تلك القوانين لا تنطبق عليه ،  
إذ أنه لم يجلس على كرسيه وسازيم ، وأنه لم يحكم أبداً أبروشية  
تزيين بصفته أسقف رسمي . وإذ رأى أن هذه الأسباب ليس لها  
أي أثر ، وأن العقول كانت مشحونة جداً ، صرخ وسط  
المجمع قائلاً :

وإذا كان انتخابي يسبب كل هذه الاضطرابات ، فإنني أوافق  
على أن يسكون لي نصيب يوفان ، فيرموني في البحر لكي تموت  
العاصفة ، ولو أني لم أميحبها . ولو منح عزم الجميع أن يقتدوا بي ،  
لتنمت الكنيسة ، بعد وقت قصير بسلام عميق . إنني لم أرغب أبداً  
في أن أصير أسقفاً ، وإذا كنت أسقفاً ، فذلك بالرغم مني . إذا

كسبتم ثرون أنه من الأفضل أن انسحب ، فإنني مستعد أن أعود  
إلى وحدتي ، حتى تستطيع كنيسة الله أن تصبح أخيراً هادئة .  
وأهيب بكم أن توحدوا بمحورنا لكي يجلس على عرش  
القسطنطينية شخص فاضل لديه الخية من أجل الدفاع عن الإيمان .

وبعد أن تكلم كذلك ، خرج من المجمع مسروراً جداً لأنه  
تخلص من حمل ثقيل جداً . وتوجب الاساقفة جداً من سلوكه ،  
ولسكنهم كانوا ضعفاً . إذ قبلوا استقالته على الفور .

وبعد خروجه من المجمع ، توجه القديس اغريغور يوس إلى  
القصر . وإذ خضع عند الامبراطور وقبل يديه قال له : يا جئت  
يا سيدي ، ليس بقصد طلب الاموال والاعمال أو لاصدقاتي ،  
ولا لكي أتمسح بما حثكم نحو الكسائس ، حيث لا طلب منكم  
السماح بالانسحاب . أنت تعرف إنني وليت بالرغم مني عرش  
هذه المدينة . وأسكنني حتى اصدقائي ، لأنني لا انظر إلا إلى  
مطالب السما . إنني استخلفك أن تقبل استقالتي ، فنضيف إلى مجد  
انتصارنا ، مجد إعادة الوحدة والوفاق في الكنيسة .

وقد تأثر الامبراطور جداً من هذا السمو الروحي ، وبألم  
شديد منح الأسقف القديس ما كان يطلبه في حماس .

وقد ودع القديس اغريغوريوس الشعب بخطاب بديع القاه  
في الكنيسة الكبيرة حضره آباء المجمع وعدد لا يحصى من  
الشعب . وفيه يوازن بين حالة كنيسة القسطنطينية عندما حضر  
إليها وبين الحالة التي يتركها فيها ، ويشكر الله على إعادة الإيمان  
المستقيم ، وعرض انه تصرف منذ انتخابه بعزوف تام عن أية  
مصلحة شخصية ، وانه لم يملك لنفسه شيئاً من إيرادات الكرسي  
الاسقفي ، وفي هذا المقال يأخذ القديس على المدينة حبها للاحتفالات  
وتعظيم المعيشة ، ولما كانوا يشتمونه بأنه يبالي جداً في بساطة  
مظهره وانه لا يعتنى بهاء وظيفته ، دافع عن نفسه بهذه الكلمات :  
« ما كنت أعرف انه من واجبي أن أناقس القناصل والحكام  
وقواد الجيش في الضخامة ، هؤلاء لا يعرفون كيف يستعملون  
أموالهم سوى في مظاهر العظمة الدنيوية . كنت أنكر الوصول  
إلى استخدام مال الفقراء لاجل الاطعمة المشتازة ، وركوب  
الخيول العظيمة ، والانتقال في عربة نخمة والصرف على جمع من  
الخدم . فإذا كنت بتصرّفي بأسلوب آخر ، قد أسأت إليكم ، فإن  
الخطأ قد وقع ، وأرجو أن تغفروا لي » .

وأهمي مقاله بطلب السباح من كنيسة المحبوبة وكنيسة  
القيامة ، ( اناستاسيه ) ، التي يدعوها بمجده وإكليله ، والسكنانية

الأخرى في المدينة ، والرسل القديسين الذين يكرمون فيها ،  
وعرشه الاسقفي ، وإكليروسه ، والرهبان ، وكل خدام الله ،  
والامبراطور ، وكل البلاط ، والشرق والغرب ، والملائكة  
الموكلين بكنيسته ، والثالوث الاقدس المسكرم فيها . ثم  
أضاف قائلاً :

« يا أولادى الاعزاء ، أحفظوا وديعة الإيمان ، وتذكروا  
الحجارة التي رموني بها لاني كنت أعمل من أجل غرس التعليم  
الحق في قلوبكم » .

ولكن المؤمنين وبالأخص الذين ربحهم أولاً للسيح ، كان  
لا يمكن تعزيتهم . كان قد سبق لهم أن أظهروا دلائل تعلمهم  
الشديد به ، وقد تألموا من جراء اضطهادات مختلفة من أحمل  
عبيتهم له . فتبعوه باكين وهم يستحلفونه أن يبقى معهم . واشفق  
القديس اغريغوريوس عليهم ورّق لدموعهم ، ولسر أسباباً  
علياً أرغسته على تنفيذ خطته . وإذ عاد إلى نفسه ، شعر بفرح  
عظيم ، كما قال بعد ذلك إلى أحد أصدقائه :

« انه لا يمكنني أن أقدر بما فيه الكفاية المرابا التي أعطاني  
ياها أعدائي بحسبهم ، لقد نجوتني من نار سدوم بتخليصهم إياي  
من أخطار الاسقفية » .



وقبل أن يقدم إستقالته ، كان قد كتب وصيته ، وهي موجودة حتى الآن ، وعليها توقعات ستة أساقفة وكاهن واحد ، وقد اتبعت فيها الإجراءات المنصوص عليها في القانون الروماني . وفيها يؤكد القديس إعطاء كل أمواله الحقيقية والشخصية للكنيسة ولفقراء نربنز . والقليل الذي يحتفظ به لكي يعيش منه ، تركه لبعض أصدقائه وخدامه المحتاجين .

+ + +

### العرش الخالي

انا نعجب من المسلك الذي اتبع تجاه القديس اغريغوريوس عندما تذكر كل ما صنعه في القسطنطينية . فبقوة أخرج من الأريوسية الجزء الأكبر من سكان هذه المدينة . لقد انتصرت وداعته وصبره على عناد الهرطقة . لم يرد أبداً أن يستخدم سلفه في عقابهم جزاءً لسلك الاضطهادات التي أثاروها ضده ، وكان يدعو المؤمنين إلى الاعتدال في معاملتهم . فكان يقول لهم ان الانتقام ممنوع على تلاميذ الرب يسوع المسيح . وأنه يلزمهم أن يتحملوا بصبر ، وأن يقدموا دائماً الخير عوضاً عن الشر . كان لابد أن يتبع تقويم الاخلاق لإعادة الإيمان . كان القديس قد عمل بنجاح في تقويم الاخلاق ، ولكنهم لم يعطوه

الوقت لكي يكمل ما بدأه جسناً . ولو لم يعملوا ، نكتير ، Nectaire خلفاً له ، لتمزي المؤمنين الحقيقيين على الأقل .

كان نكتير ، عضواً في مجلس الشيوخ الروماني ، وفي الوقت نفسه حاكماً لمدينة القسطنطينية . ولم يقنصر الأمر على أنه كان شخصاً مديناً غريب ، ولكنه أيضاً لم يكن قد تعمّد بعد عندما شرعوا في انتخابه ، وقد عاش في عدم ضبط النفس وأظهر عدم حكمته في مناسبات عديدة . ويبدو أيضاً أنه لم تكن له موهبة الخطاب .

كان القديس اغريغوريوس قد ترك القسطنطينية قبل انتخاب « نكتير » Nectaire ، واختار نربنز مقراً له . ومنه السبب « قصيدة حياته » ، « le poème de sa Vie » ، وفيها كان يؤكد بالأخص سلوكه في القسطنطينية . وكان هدفه من ذلك هدم الافراطات المختلفة التي كانوا يشرونها ضده . ولقد عمل بكل قواه لكي يدبر أسقفاً لمدينة نربنز ، ولكنه لم يستطع أن ينجح بسبب معارضة جزء من الاكليروس .

واضطرت حالته الصحية السيئة إلى أن يسحب بعد قليل إلى « أرينز » Arianze . والمعتقد ان ذلك كان قبل نهاية عام ٣٨١ . لم يكن نادماً على شيء في انفراده إلا على غياب أصدقائه .

ومع انه كان حريصاً جداً في مقالاته ، إلا أنه كان يأخذ على نفسه بأنه لم يسهر بما فيه الكفاية على ضبط لسانه . وحتى يعاقب نفسه على كل الكلمات الغير نافعة التي تطلق بها ، صمت صمتاً مطلقاً طوال الأربعين المقدسة سنة ٣٨٢ .

**نصائح القديس :** وبالرغم من عيشته المنعزلة ، لم يكن يرفض الاتصال بالأشخاص الذين يحتاجون إلى الاستشارة . كان يعطى نصائح متميزة لسلك الذين يستشيرونه . وليس أحكم من قواعد السلوك التي وضعها بالنسبة للنساء المتزوجات في مؤلفته الموجهة إلى القديسة ، أولمبياد ، Olympiade . ويقول ضمن أقوال أخرى :

« أولاً أكرمي الله ؛ ثم احترمي زوجك كحتراس لحياتك »  
لانه عليه أن يدبر أعمالك وكل سلوكك . لا تحي سواه ؛ لكن سرورك . وتمزينك بحيث لا تعطيه أبداً بحسباً لان يفضب منك . تنازلي له عندما يكون في حالة غضب ؛ ساعديه وعزبه في أحزانه وضيقانه كلمية بوداعة كثيرة وبلفظ ؛ كوني متواضعة في عتابك له ، واتخذى لذلك وقتاً مناسباً . أفعل مثل الذين يريدون أن يروضوا الاسود ؛ بدلا من أن يستخدموا العنف لإزائها ، فإنهم يدحونها ويلاطفونها . اشفقى على ضعفات زوجك ولا تلوميه أبداً بمرارة ، فإنه غير مسموح لك أن تفعل ذلك

تصو ذلك الذي يلزمك ان تفضليه على كل ما في العالم .  
وينبغي القديس أن تصير ، أولمبياد ، أمثاً لأولاد كثيرين . وذلك لكي تكون هناك أرواحاً أكثر يسبحون الرب يسوع المسيح . وكانت إحدى القواعد التي يطلبها باهتمام أنه يلزم أن يبدأ ونهى كل عمل بأن تقدم لله صلاة قصيرة ، تقدم القلب وكل ما نعله . أننا مندبتون لله بكل ما نحن عليه وبكل ما نملك . أنه تعالى يقبل أصغر أعمالنا ويكافئنا عليها عندما يكون هو تعالى مبدأها ، أنه ينظر حينئذ ، ليس إلى القليل الذي نصنعه ، ولكن إلى المشاعر التي تحركنا . أنه لا يرفض القلب الذي يعطى في حالة الفقر ، ما يملك وما يستطيع أن يعطيه ، معترفاً بفضل الرب وسلطانه عليه .

وكان كرسي نزينز لا يزال خالياً . وكما قلنا ، اضطر القديس اغريغوريوس إلى توليه بعد موت أبيه . وقد كلف ، كليدونيوس ، Clodionius بذلك أثناء غيابه . كان يتألم عندما يبصر المساوي . المختلفة التي على طاق الاسقف وحده ليعالجها . وكانت له تحركات فعلا لإنتخاب أسقف ؛ ولكنه لم ينجح . وضاعف جهاده في سنة ٣٨٢ ، وحصلت أخيراً كنيسة نزينز على راع ، ووقع الاختيار على كاهن فاضل يدعى ، أولاليوس ، Eulalius .

قرر القديس أن يقضى بقية أيامه في عزلة في « أزيانو »  
Aziano . وكان حينئذ متقدماً جداً في السن ، واشتدت به العلة ،  
ولكن ذلك لم يمنعه من أن يخدم أيضاً الكنيسة ، وبالأخص  
كنيسة زرينو . وكان له في اعتزاله حديقة ونافورة وغابة صغيرة  
فينذوق طعم المنع البريثة في الريف ، وهي الوحيدة التي كان يسمح  
لنفسه بها . هناك كان يمارس كل أنواع التقشفات الجسدية ، كان  
يصوم ويسهر كثيراً ، وكان يصلي كثيراً راجعاً . ولنفسه هو  
نفسه يتحدث :

« ان أعيش ولط الصخور والوحوش الضارية . اني لا  
أرى ناراً أبداً ، ولا استعمل حذاء . ثوبية بسيطة هي كل ملابسى ،  
أنام فوق القش ، وليس لى سوى دثار خشن استعمله كغطاء .  
إن أرضى ترويبها دائماً دموعى التي أسكبها . »

وفي العقد الأخير من نهاية حياته ، أخذ يؤلف قصائد حول  
بعض المواضيع التقوية لكي يساهم في تثقيف المؤمنين الذين يحبون  
الموسيقى والشعر . ومن جهة أخرى كان الأبوليناريون قد ألفوا  
قصائد لكي ينشروا خلالها ، فكانت أبسط وسيلة لمحاربتهم  
هي مواجهتهم بقصائد أخرى أرتوذكسية ، تجدى تلاوتها في  
التعليم والتثقيف ، وفي نفس الوقت تريح النفس .

وفي هذه القصائد يروي القديس اغريغوريوس سيرة حياته  
وآلامه ، وينشر فيها تجاربه وضعفاته وأخطائه ، وفي هذا المجال  
يدخل في التفاصيل أكثر مما كان يفعل حينما يكون في الموضوع  
تشريراً له . وفيها يشكو بالرغم من شيخوخته ولسكه أنه ما زال  
يتحتر ثورات الجسد الفاسد ، ولكنه يعترف في نفس الوقت  
أن النعمة قد حفظت فيه كنز البتولية الثمين . كانت تلك التجارب  
تطراً أحياناً بفعل الرحمة الإلهية : فكانت تحصنه ضد شغاخ  
الكبرياء . فيظل ساهراً ، إذ تذكره بدون انقطاع ضرورة الجهاد .  
وتلك القصائد مملوءة أيضاً باشقياقه المتوقفة يلتبس فيه معونة الرب  
يسوع المسيح وفيها يعلن أننا في تبعية مطلقه المحاص . يقول .  
« بدون نعمة لا نكون سوى عبيد تقوحيهم ورائحة الخطية ،  
ولا يمكننا أيضاً أن نصنع حيراً ، كما أن المصفور لا يستطيع أن  
يطير بدون أجنحة ، وكما لا تستطيع السمكة أن تسبح بدون الماء .  
الله هو الذي يجعلنا نبصر ونلتصرف ونجرب . »

وكان القديس لا يكتفي بالسير والصلاة ، بل كان يعتمد عن  
كل ما يمكن أن تكون له علاقة ما بالخطية ، ويحشد في أن يستبد  
جسده بتقشفات مستمرة .

وفي رسائله كان يعطى نصائح متشازة ، ولا يوصى بأى شيء .

الاقوم به هو نفسه . وإنا نقدم لذلك مثلاً . كان كاهن قديس  
مضطهداً عن ظلم بسبب وشاية ، فكتب له ثلاثة رسائل ليعزّيه .  
وخطبه هكذا في الرسالة الثالثة :

« ماذا يمكن على أية حال أن يحدث لنا من شر ؟ ليس لنا  
أن نخاف إلا من شيء واحد ، وهو أن نضع أنفسنا بملطنا في  
موقف نفقد فيه الله والفضيلة . فلترك الأمور الأخرى تسير كما  
يجب لنا الرب : فهو سيد حياتنا ، يعرف علة كل ما يحدث ،  
ولنخف فقط من أن نتصرف بأسلوب غير لائق بربنا ، أطعمنا  
الفقراء ، وخدمنا إخوتنا ، ورتلنا المزامير لجدد الله ، فإن لم يكن  
مسيحاً لنا بعد أن نستمر في نفس التدريبات ، فلنجهتد في شيء  
آخر . إن النعمة ليست عقيمة ، إنها تفتح طرقاً مختلفة تؤدي جميعها  
إلى السماء . فلنحس في اعتكاف ، وبماشئ التأمل ، ولنظهر أرواحنا  
بنور الله : إن ذلك ليس أقل رفعة من كل ما نستطيع أن نفعله .

هذه كانت مشاغل القديس اغريغوريوس في عزله الأخيرة ،  
إلى أن حان موعد نياحته الطوباوية حوالي سنة ٣٨٩ ، وانتهت  
حياته كعالم وأسقف وراهب وشاعر .

وفي سنة ٩٥٠ أمر الامبراطور قسطنطين بورفيروجينيت  
Porphyrogénète بنقل رفات القديس من نرينز إلى القسطنطينية

ووضعها في كنيسة الرسل . وقد نقلت إلى روما في زمن الحروب  
الصليبية ولا تزال هناك تحت إحدى هياكل كنيسة الفاتيكان .  
ويُعبد له اللاتين في ٩ مايو . أما الشرقيون فيعيدون له في يومي  
٢٥ و٣٠ يناير .

مؤلفات القديس : وكانت مؤلفاته خمسة وأربعين مقالا ،  
وما بين واثني عشرة رسالة ، ووصية ، وله ثمان وسبعون قصيدة  
اللاهوتية ، وسبع وتسعون قصيدة تاريخية تمثل شخصيته ، ومائتان  
وواحد وثلاثون قصيدة يتناول فيها الشخصيات الأخرى ، وله  
مائة وتسع وعشرون عبارة مكتوبة على القبور ، وتسع وتسعون  
عبارة مدونة على النصب التذكارية .

† † †

## القديس أغريغوريوس صانع العجايب

نشأة القديس واعتناقه المسيحية : ولد سنة ٣١٣ . وكان  
الإسم تيودوروس ، ولم يدع بامم أغريغوريوس إلا عند رسامته  
أسقفاً . وكلمة أغريغوريوس تعيد نفس معنى كلمة أسقف ، أي  
الذي يسهر على ... ، المراقب . كان له أخ يدعى أنتودور ،  
Athénodore ، وهو زميله المخلص في حياته كلها ، وصار مثله  
أسقفاً على مدينة البنت le Pont . وكانت له أخت متزوجة من  
أحد رجال القانون . كان والداه وثنيين غنيين ، وريبا أولادهما  
تربية حسنة . وكان عمر أغريغوريوس أربعة عشر سنة عندما  
جات والده .

عرف المسيحية وبعد بعض التردد اعتنق الديانة الجديدة ،  
ولسكتنا لا نعرف بالضبط تاريخ عماده . لم يكن يفكر في بادئ  
الامر في تغيير مجرى حياته ، واستجاب لذلك بسبب إلحاح  
والدته فاهتم بدراسة القانون . ولم يكن ذلك على سبيل قتل  
الوقت ، بل أنه تعلم اللغة اللاتينية لكي يقرأ مؤلفات أصحاب  
الرأى من الرومان ، وكان يظن أن اقامته بعض الوقت في مدرسة  
بيروت الشهيرة تكمل معارفه .

( ٢ )

## القديس أغريغوريوس الشفهاطرغوس

أسقف قيصرية الجديدة

( المعروف بصانع العجايب )

مترجم من الجزء الحادى عشر من مجموعة :

Vies des Saints et des Bienheureux

R. P. Bénédictins

وسنحت الفرصة للسفر. فقد عين أحد أقاربه قاضياً مساعداً  
لحاكم فلسطين، فأرسل يستدعي زوجته التي كانت تعيش في  
قيصرية الجديدة Néoesarée. وصحبها أغريغوريوس وأتودور  
وكانا يظنان أنه من السهل عليهما الوصول إلى بيروت.

لقاء مع أوريجانوس: وعندما وصلا إلى قيصرية في فلسطين،  
تقابلا مع أوريجانوس الذي كان قد وصلها ليستوطن فيها بعد  
أن أرغم على ترك الاسكندرية. وعرف المعلم فوراً قيمة هذين  
الشابين، وصرعان ما سادت الثقة بينهما، ولمدة خمس سنوات  
وربما ثمان، اجتهد أوريجانوس في تعليمهما. وقبل أن يسافر  
أغريغوريوس، وجه إلى معلمه خطاب وداع وشكر، ويُعدُّ  
مديحاً في غير تحفظ، وقد ذكر فيه بعض التفاصيل الملبوسة  
العديدة لكي يعطى عن معلمه صورة واضحة محبة.

الله يتمجد في قديسيه: وفي الاسكندرية حسده بعض  
الشبان على اجتهاده وطهارته، فاستأجروا امرأة عاهرة لتتهمه  
وسط الاجتماع بأنه لم يدفع لها أجر خدماتها المشينة له. فأراد  
المحاضرون أن يطردوها، ولكن القديس تدخل وأعطاهما ما تريد.  
ظالماً أخذت التهمة القود، اعترأها روح نجس، فأخذت تتلوى

على الأرض وهي تصرخ، ولم تخلص إلا بإصلاة ذلك الذي  
حاولت ان تنمه زوراً.

رسامته اسقفاً: وعاد أغريغوريوس إلى بلده لكي يحيا  
حياة التوحّد، يترك كل نشاط دنيوي. ولكن فيديم  
Phédime أسقف، أمازيه، Amasée، علم باعلان سماوي انه  
يستحق رتبة الاسقفية. وإذا كان أغريغوريوس يتحاشى هذا  
التكريم. كان يهرب من برية إلى أخرى، ممّا اضطر الاسقف  
فيديم، أن يرسمه غيباً على ابيارشية قيصرية الجديدة. وإذا  
كان القديس أغريغوريوس على مسيرة ثلاثة أيام، رأى هذا  
المشهد في رؤيا ففهم انه لم يعد أمامه سوى الطاعة.

ظهور السيدة العذراء والقديس يوحنا البشير له: ولما صار  
أسقفاً لم يشأ أن يبشر قبل أن تعلم له الحقيقة بواسطة رؤيا، إذ  
كان البعض يفسدون التعليم بمناقشات ضارة. وأثناء الليل ظهرت  
له السيدة العذراء القديسة مريم ومعها القديس يوحنا البشير،  
ودعته ليشرح لأغريغوريوس ما كان يبحث عنه. فأطاع  
ويعد هذا الظهور الاول للسيدة العذراء.

† † †

## ذكر بعض معجزاته

ويلاحظنا أن نأني بملخص لبعض المعجائب التي أكتبت اسم  
صانع المعجائب :

(١) إيمان كاهن هيكل الاوثان : عندما كان في طريقه إلى  
قيصرية الجديدة ، فاجأه مطول المطر ، فاضطر إلى الانجاء إلى  
أحد الهياكل ، وقضى الليل فيه مصلياً بعد أن رسم علامة الصليب .  
وفي صباح اليوم التالي ، قدم الكاهن الوثني الذبايح ، ولكن  
الشباطين لم يردوا عليه كما دعتهم : فقد طردهم حضور القديس .  
و غاظ الكاهن وهدده بالشكوى إلى القضاة . فكتب أغريغوريوس  
على ورقة صغيرة ووضعها على المدبح : « من أغريغوريوس إلى  
إبليس ، أدخل أعطياها للكاهن ، وفي الحال أنت أثرها في الأرواح  
النجسة كما هي عاداتها . وعندما رأى الكاهن قوة القديس ، طلب  
منه أن يعمله . وسار كل شيء . على ما يرام إلى أن علمه القديس أن  
الله قد تأمن . روى انه لكي يؤمن بمثل هذا المعجب ، طالب  
بمعجزة جديدة وهي أن يتقل الحجر الكبير دون أن يقوم بنقله  
أحد . وقيل أن حدثت المعجزة حالا ، وترك الكاهن كل شيء ،  
بما في ذلك زوجته وأولاده ليتبع الأسقف القديس . ورسمه  
الأسقف شماساً .

وذاع خبر هذه المعجزات حتى حضر إليه جمع كبير يحتمون  
به . ومن بينهم دون أن يقول شيئاً ، فأدهش تصسرفه الناس  
واتعظوا كثيراً ، وقبل من أحد الأهل ويدعى موسونيوس ،  
Musonius أن يستضيفه ، ونجحت مواعظه نجاحاً كبيراً ، وشرع  
في بناء كنيسة .

(٢) جفاف البركة موضوع النزاع : كان يحاول صنع السلام  
بين المسيحين الجدد . وحدث أن تنازع أخوان على ملكية بركة ،  
فكان كل واحد يريد أن يأخذها كلها لنفسه ، وحاول  
أغريغوريوس أن يحسم النزاع ، ولكن بلا جدوى : فقد قرأ  
المبارزة . فسبقهما الأسقف إلى البركة وظل يصل طوال الليل ،  
وقيل أن البركة جفت في الصباح .

(٣) انحصار مياه الفيضان : كان نهر ليسكوس ، Lykos  
يهدم كل شيء . أثناء فيضانه . لحضر القديس أغريغوريوس في  
سكان ما على الضفة المهددة بالانسيار وزرع عصا إلى نهايتها في  
الأرض الرطبة . وقد صارت شجرة كبيرة ، ومنذ ذلك الحين  
كانت هذه الشجرة حداً أمام المياه العالية ، كأنما كان النهر يرجع  
دونها . وآمن كثيرون .

(٤) الصخرة تحدد بناء الكنيسة : كان الشعب يريد بناء

كنيسة في إحدى القرى ، وكانت هناك صخرة ضخمة تجعل مكان  
بناء الكنيسة غير ممكن استخداها . فطلب القديس اغريغوريوس  
أن تدعى جانباً ، لأنه كان واقفاً في وعد الرب الذي كان قد وعد  
تلاميذه أنه إذا كان لهم إيمان يمكنهم أن ينقلوا الجبال .

(٥) عقاب المستهزئين : طلب منه أحد اليهود بعض المال لكي  
يدفن زميله . وكان الريميلان يمثلان دوراً لكي يستهزئوا  
بالقديس وينزوا منه صدقة . فألقى القديس اغريغوريوس رداً  
على الذي قيل أنه مات فوات في الحال .

وأثناء اضطهاد داكيوس ، دية سنة ٢٥٠ ، اختبأ  
القديس اغريغوريوس ، كما فعل أيضاً قديسون آخرون كثيرون  
مثل القديس قيريانوس من القراطاج ، وديونيسيوس الاسكندري  
وإيروى أن رجال البوليس بحثوا عنه ، وعرفوا مكانه ، ولكنهم  
لم يقبلوا إلا شجرتين بدلاً من الاسقف القديس وشمامسه .

اداره وحزمه : كان حكيماً في إدارته لايارشيتيه . فبعد  
اضطهاد داكيوس ، رأى الشعب متعلقاً بعبادة الأوثان حباً في  
الذات ، فأراد قبل كل شيء أن يعالج المسألة جذرياً فيصرفهم عن  
الحزبيلات ويقتادهم إلى الله . وسمح لهم بأن يحتفلوا بذكرى  
الشهداء في مريح وتهليل . فقد كان يصرف أنه مع مرور الزمن

سوف تصبح حياتهم أكثر جدية ونظاماً بفعل الإيمان ، وهذا  
ما حدث بالفعل للكثيرين : تغير موقفهم ، وتركوا الاهتمامات  
الجسدية إلى متعة الروح .

وحضر القديس اغريغوريوس صانع العجائب النجم الأول  
الذي اجتمع في أنطاكية للحكم على سلوك بولس الساموساطي  
سنة ٢٦٤ . وكان من أقدم الاساقفة . ولم يحضر النجم الثاني  
سنة ٢٦٩ . ولا يرجح ذلك أنه كان قد تليح في ذلك الوقت .

وقبل يباحته ، زار ايارشيتيه ولاحظ أسفاً أنه لا يزال بها  
سبعة عشر وثناً ، واسكنه قدم الشكر للرب متذكراً أنه لم يكن  
هناك سوى سبعة عشر مؤمناً عند حضوره . وتليح في سنة ٢٧٠ .  
وردفن في الكنيسة التي بناها في قيصرية الجديدة .

† † †



## القديس اغريغوريوس الارمني

ووجدت بعض التقاليد المسيحية في ارمينيا ايام العصر الرسولي،  
ولاكنها ليست سليمة تماماً. لذلك يلزمنا أن نعتبر بداية المسيحية  
في ارمينيا في ايام القديس اغريغوريوس، وهو اول من بشر  
بالإنجيل في ارمينيا بعد برثلماوس الرسول.

ولد القديس اغريغوريوس الارمني حوالي سنة ٢٥٧ في  
«فالارشاباد» Valarshabad عاصمة إقليم ارارات وكان ابوه  
يدعى «أناش» Anach وهو من عائلة ملكية هي عائلة بارثيان،  
Parthian Arsacide. وقد اغتال كسرى (ملك ارمينيا ٢١٢ -  
٢٥٨) Khusraw أو Chosroës، في سنة ٢٢٨ بخرمض من  
عقبتب العرش «اردشيس ساسان» Ardachés Sassan  
أو الملك شاپور الاول Shapur.

وهرب «أناش» إلى مدينة قيصرية في كبادوكية وحمل معه  
طفله اغريغوريوس، وهناك عمده ورباه في الديانة المسيحية.  
ولما حان الوقت تزوج اغريغوريوس بسيدة من عائلة شريفة  
تدعى مريم، وكانت تقيّة جداً. وولدت له ولدين هما «فرتانس»  
Vertanes، و«ارستاجس» Aristages. وبعد ثلاث سنوات

(٣)

## المعترف القديس اغريغوريوس الارمني

مصادر الكتاب:

(1) The Saints of Egypt, by O' Leary.

(2) Les Petits Bollandistes Vies des Saints.

اتفق اغريغوريوس وزوجته مريم على أن يفترقا لكي يعيشا حياة النكاح الشديد<sup>١١</sup>.

وكان تيريدات ، Tiridate الثالث ابن كسرى القنيل عتبتاً في قيصرية السكبادوك . وإذ علم اغريغوريوس بالجرعة التي ارتكبها أبوه ، سلم نفسه إلى تيريدات وصار خادماً خاصاً له . وفي سنة ٢٨٤ حصل تيريدات ، على تاج أرمينيا الملكي بمساعدة الامبراطور الروماني دقلديانوس ، وذهب إلى أرمينيا واصطحب معه اغريغوريوس ، وكان ينزله من نفسه منزلة كبرى .

وشارك الملك تيريدات في آراء دقلديانوس الوثنية ، وأراد أن يرغم القديس اغريغوريوس على عبادة الاوثان والتبخير «لاناheid ، Anabid كبيرة آلهة الارمن . فرفض القديس واعترف جهرأ بأنه مسيحي . فتضايق الملك لذلك جداً ، وأمر بتعذيبه بأنواع كثيرة من العذابات . وألقاه في زنزانة ضيقة جداً ، ثم عصب عينيه ، وعلقه بحبل مشدود على صدره بعنف . وظل القديس الشهيد على هذه الحالة لمدة سبعة أيام . ومرة أخرى علقه من قدمه منكس الرأس ، وفرش الأرض بسباخ حتى يتنفس القديس رائحته الكريهة ، بينما كانوا يضربونه بعضى ميلة .

(١) يروي ذلك O' Leary دون غيره .

وأثناء هذا التعذيب كان القديس اغريغوريوس يصل إلى الله من أجل خلاص كل الشعوب ، وبالاخص من أجل خلاص الارمن وكان الملك يتعجب من شجاعته ويضاعف قسوته في تعذيبه . فأحضر ألواحاً وحبالاً معقودة ، وأمر بضغط أقدام القديس حتى سال الدم من أطرافه ولطموه كثيراً بعنف ، ووضعوا رأسه في منجلة وضغطوا عليه ، ثم ملأوا أنفه بالخل والملح . وتحمل القديس كل هذه العذابات حتى دهش الملك كيف كان يظل حياً . وأمر تيريدات بإلقاء القديس في بحر مليئة بالزواحف وتركه فيها عدة سنوات ، وكانت امرأة مسيحية تدعى حنة Anna تحضر له الطعام طوال مدة بقائه في البحر .

وعلم تيريدات أن اغريغوريوس هو ابن « اناش » قاتل كسرى الملك . فاستشاط غضباً وأمر بنقل القديس إلى « ارتكسات » Artaxat ، وهي إحدى القلاع الموجودة في مقاطعة أارات ، مقيد اليدين والرجلين وفي عنقه حبل . وهناك ألقاه في فتحة ضيقة مصعماً أن يتركه حتى يموت فيها . ولكن الله نجاه من الهلاك كما نجاه من كل العذابات الاخرى .

القديسة وبسيميا : وكان في ذلك الزمان قديسة تدهى وبسيميا Repsima وكانت رئيسة لإحدى الجاليات الدينية في روما . وكان الامبراطور دقلديانوس يحبها ويحاول اغرامها ، فهربت مع

اتفق اغريغوريوس وزوجته مريم على أن يترقا لكي يعيشا حياة النسك الشديد<sup>١١</sup>.

وكان تيريدات ، Tridate الثالث ابن كسرى القبل عتقياً في قيصرية الكبادوك . واذ علم اغريغوريوس بالجرعة التي ارتكبها أبوه ، سلم نفسه إلى تيريدات وسار خادماً خاصاً له . وفي سنة ٢٨٤ حصل تيريدات ، على تاج أرمينيا الملكي بمساعدة الامبراطور الروماني دقلديانوس ، وذهب إلى أرمينيا واصطحب معه اغريغوريوس ، وكان يوزله من نفسه منزلة كبرى .

وشارك الملك تيريدات في آراء دقلديانوس الوثنية ، وأراد أن يرغم القديس اغريغوريوس على عبادة الآوثان والتبشير لآلهة Anabid كبيرة آلهة الأرمين . فرفض القديس واعترف صبراً بأبه مسيحي . فتضايق الملك لذلك جداً ، وأمر بتذيه بأنواع كثيرة من العذابات . والقضاء في زنازة حذيفة جداً ، ثم عصب عليه ، وطلقه بحبل مشدود على صدره ، بعف . وظل القديس الشهيد على هذه الحالة لمدة سبعة أيام . ومرة أخرى علقه من قدمه منكمس الرأس ، وفرش الأرض بسباح حتى يتنفس القديس رائحته الكبرية ، بينما كانوا يشربونه بعضي ميلة .

(١) بروي ذلك O'Leary دون غيره .

وأثناء هذا التعذيب كان القديس اغريغوريوس يصل إلى الله من أجل خلاص كل الشعوب ، وبالإخص من أجل خلاص الأرمن وكان الملك يتعجب من شجاعته ويصاعف قسوته في تعذيبه . فأحضر ألواحاً وحبالاً معقودة ، وأمر بضغط أقدام القديس حتى يسال الدم من أطرافه واعطوه كثيراً بعف ، ووضعوا رأسه في منجلك . وضغطوا عليه ، ثم ملأوا أنفه بالخل والملح . وتحمل القديس كل هذه العذابات حتى دهش الملك كيف كان يظل حياً . وأمر تيريدات بإلقاء القديس في بحر ملينة بالزواحف وتركه فيها عدة سنوات ، وكانت امرأة مسيحية تدعى حنة Anna تحضر له الطعام طوال مدة فقائه في البحر .

وعلم تيريدات أن اغريغوريوس هو ابن ، اناش ، قاتل كسرى الملك . فاستشاط غضباً وأمر بنقل القديس إلى أرتكسات ، Ariaxat ، وهي إحدى القلاع الموجودة في مقاطعة أرات ، مقيد اليدين والرجلين وفي عنقه حبل . وهناك ألقاه في فتحة ضيقة مصعماً أن يتركه حتى يموت فيها . ولكن الله نجاه من الهلاك كما نجاه من كل العذابات الأخرى .

القديسة وبسببها : وكان في ذلك الزمان قديسة تدهي رئيسياً Repsima وكانت رئيسة لإحدى الجاليات الدينية في روما . وكان الامبراطور دقلديانوس يجيها ويحاول اغرامها ، فهربت مع

## القديس أغريغوريوس أسقف نيقصا

ولد هذا المعلم البارز بين معلمى الكنيسة حوالى سنة ٣٣١  
فى سبطه " Sébaste " فى كبادوكية فى عائلة قديسين . فأخته  
القديسة ماكرينا Macrine ، وأخوه القديس باسيلوس الكبير ،  
وهما يكبرانہ ، وقد ساهما فى تربيته مثل ما فعل أبواه . وحالما  
سمح سنه ، درس العلوم البشرية . ويقول المؤرخ تيودوريه  
Théodore أنه قضى بعض الوقت فى الحياة الرهبانية ، واسكنه  
لم يترهب . بل ارتبط أيضاً بالعالم بزواجه . وقد ندم على ذلك  
فيما بعد فى كتابه عن البتولية ، كان يئن لأنه لم ينتفع هو نفسه بما  
يقوله فى هذه الفضيلة ، ويىكى عدم اهتمامه الذى عرف  
قدره بعد فوات الأوان . ومع ذلك فقد كانت زوجته امرأة قاضلة  
شاركته فضيلته . وإذ كانا يعيشان بأسلوب يتفق مع الإنجيل ،  
كانا قريبين من السكيا الذى حازه أفراد عائلتهما الذين كانوا  
يخدمون الله فى البتولية . وبعد بعض الوقت لا يحدد التاريخ ،  
دخل أغريغوريوس فى الحياة السكسية ورسم قارئاً . ولكن  
إغراء الطموح ، أو انه أخذ بحمال الآداب العالمية ، مما جعله

(١) وهى « سيفاس » Syvas الحماينة مدينة فى تركيا على نهر  
« كزىل ارمك » Kizil Irmak

(٤)

## القديس أغريغوريوس أسقف نيقصا

ترجم من الجزء الثالث من مجموعة :

Les Petits Bollandistes  
Vies des Saints

يتوقف عن قراءة الكتب المقدسة للتومنين ، لكي يعلم البلاغة للشباب . وكانت هذه عمرة بين المسيحيين ، فكانوا يرون في هذا السلوك ضرباً من الانصراف عن الحياة الكنسية وخطر كبيراً لمن يشرع فيه . وأرسل له صديقه القديس أغريغوريوس النيزي خطاباً في هذا الموضوع يؤنبه فيه بشدة وبمحبة كثيرة في نفس الوقت . ويبدو ان هذا التأنيب قد أثر في قديسنا . ومن المؤكد على أي حال انه لم يظل مدرساً لمدة طويلة ، وبعد ان اندمج في سلك الحياة الكنسية ، رفع إلى درجة الكهنوت . وبعد بضعة سنوات فقد زوجته ، وقد رثاها القديس أغريغوريوس النيزي رثاءً رائعاً ، قال :

« لقد كانت زينة الكنيسة ، ودعاها شخصاً مقدساً ، وزوجة جديرة لاحد الكهنة على عتري زوجها في الشرف وفي الكرامة ، وجديرة بأمرار عظيمة . وقد جعلت هذه الكلمات الكثيرين يعتقدون انها انفصلت بارادتها عن زوجها عندما رسم كاهناً ، وتشرفت بوظيفة الشماسية (١) . »

(١) كانت من فوائين الكنيسة في ذلك الزمان أن العامسة والسكنة والأساقفة الذين لم يتزوجوا قبل رسامتهم ، يلزمهم أن يظلوا بتولين . ومن كانوا متزوجين يلزم أن يفصلوا عن زوجتهم بانفاق متبادل حتى يدخلوا في الكهنوت . وحسب القديس أغريغوريوس النيزي ،

وبعد أن تولى القديس باسيليوس الكبير عرش قيصرية خاصة كبادوكية في سنة ٣٧٠ ، فكر في استخدام مواهب القديس أغريغوريوس العظيمة في الخدمة العامة في الكنيسة . ولأذخلى عرش ، نصبا ،<sup>١١</sup> Nyssa ، إحدى مدن كبادوكية على مسافة ثلاثين ميلاً من قيصريته<sup>١٢</sup> من ناحية « جلاتيه ، Galatie ، شغله بأخيه بعد ستة أو سبعة شهور . وعندما أخبر أوسابيوس الساموساطي هذا الاختيار قال :

« كنت أتمنى لو أن أخى أغريغوريوس يحكم كنيسة تناسب استحقاقه وكفاءته ، أي كل الكنيسة التي تحت الشمس . ولكن بما أن ذلك ليس ممكناً ، لزم أن نكتفي بأن يشرف أغريغوريوس المكان الذي يكون فيه أسقفاً . ان العظمة الحقيقية ليست أن يستطيع الانسان أن يعمل أعمالاً عظيمة حسب ، بل أن يستطيع أن يظهر الأعمال الصغيرة كأنها أعمال كبيرة . »

« كانت ضرورة البتولية قد أصبحت عقدة متفشرة لدرجة أنه ما كان أحد يقبل الأسرار المقدسة من يد كاهن متزوج . وقد رفض « سينيوس » Synesius أسقفية « بطولماس » Ptolémaïs أولاً ، لأنه لم يكن يستطيع أن يقبل الأسقفية مع الامتناع كلية عن كل علاقة مع زوجته . »

(١) Nyssa أو Nysse مدينة صغيرة قديمة من مدن كبادوكية (أو آسيا الصغرى ، وهي تركيا حالياً) ، على نهر « الهاليس » Halys (٣) وتدعى أيضاً « مازاكا » Mazaka وهي أم مدن كبادوكية .

لم يكن قديسنا يشارك هذه المشاعر حول استحقاقاته ، وكان  
يظن نفسه أقل بكثير من كرامة الاسقفية ومن مسئوليتها ، ولزم  
أن يتشدد أساقفة المقاطعة لكي يرغبوه على قبول رسامته .  
وسرعان ما أثبت سلوك هذا الاسقف القديس حسن اختيارهم .  
كان يمارس الفقر بنفسه لكي يُبغى الفقراء ، ولقد خصص لهم  
ميراثه . كان غيوراً محباً حريصاً ، لم يمنعه عليه العميق أن يضع  
نفسه فيلبس طلب كل أحد . وكان يسر على حفظ القرويين  
بشدة أكثر من أخيه أيضاً . لم يحارب الضلال بهمة أقل من  
تلك التي حارب بها الرذيلة ، وما كان يوقف حماسه كأسقف أى  
اعتبار بشري . كان معلماً يخدم الكنيسة الجامعة بقلبه ، وأسقفاً  
يعمل بكل قواه بالقُدوة وبالوعظ من أجل خير كنيسة  
نيسا ، Nysse .

وأثار ذلك حفيظة الاربوسيين . فوشا به هؤلاء المراطقة  
لدى ديموستين ، Demosthiné حاكم البنت ، Pont عدد  
المؤمنين كدأب معمله الإمبراطور . فأرسل ديموستين جنوداً  
للقبض عليه وسلم القديس نفسه أولاً دون مقاومة ليقبضوا عليه .  
ولكنه عندما رأى أنهم لا يريدون منحه أى تخفيف بالرغم من  
سوء حاله الصحية وقسوة البرد ، حينئذ هرب من أيدي الجنود .

وعبثاً حاول القديس باسيلوس في خطاب بلهجة الاحترام ، أن  
يجعل ديموستين على اللطف ، شارحاً له بالنسبة عن كل أساقفة  
كبادوكية ، براءة أخيه .

كان الجمع المكثف بالحكم عليه في نيسا ، يتكون من  
الاربوسيين فقط . وليس الاحتشاد الذي عاناه هو الذي ألم  
قديسنا ، بل إن تقدم المرطقة ، والمصير الحزين المتوقع لرعيته  
التي يحكمها دخيل عديم الإيمان ، لا أخلاق له وغير كف ، لا تشد  
ايلاما . وكثب بذلك إلى القديس أغريغوريوس النيزي ، فرد  
عليه بأن يضع ثقته في الله ، مؤملاً ألا يتنصر الضلال على الحق  
طويلاً . وقد تحققت هذه النبوة في سنة ٣٧٨ عند وفاة الامبراطور  
فالنس Valins . فقد أرجع جراسيان ، Gratien خليفته ،  
الاساقفة المنفيين وأعاد إليهم كتابتهم . ولم يكن منى القديس  
أغريغوريوس ضياعاً بالنسبة للكنيسة ، بل كان أجل وقت في  
حياته . لأن الكنائس التي كانت في الاماكن التي عُرف أنه  
سوف يمر بها ، دعتة لتنظيمها وليرفرف السلام عليها . وقال  
القديس اغريغوريوس النيزي أن هذا التغيير المستمر في المكان  
يجعله كالسلس ، تجلب الدف والنور والخصب في كل مكان دون  
أن تتوقف إطلاقاً في مكانها .

فقد رجع القديس اسكسسيه، ولم يكذب يتذوق الفرحه برؤيته  
شعبه من جديد ، حتى دُعِيَ إلى قيصرية بسبب وفاة أخيه القديس  
باسيليوس الذي كان ينظر إليه دائماً كسياس. وكانت الخواطر  
الدينية وحدها هي السكفيلة بأن تعطيه القوة التي بها يستطيع أن  
يتحمل فقد شخص عزيز بهذا المقدار في الوقت الذي كان فيه السلام  
الذي أعيد إلى السكسسية يسمح بأن يرأسه ويراه بأكثر حرية .  
( سنة ٣٧٩ ) .

واضطر في نفس السنة أن يذهب إلى انطاكية حيث كان  
الطريك القديس ميليس يعقد مجعاً . وفي هذا المجمع أخذ القديس  
اغريغوريوس ( من نيسا ) على عاتقه مهمة زيارة بلاد العرب  
وفلسطين لكي يصلح السكنائس فيها . ولكنه لم يقم بهذه الزيارات  
إلا في السنة التالية أي في سنة ٣٨٠ . وعند خروجه من المجمع  
رجع إلى نيسا ، Nysse وذهب لزيارة شقيقته القديسة ماكرين .  
Ste Macrine التي لم يكن قد رآها منذ ثمانى سنوات . وكان في  
حاجة إلى تبادل العزاء في وفاة القديس باسيليوس أخيها ، ولكنه  
وجد داعياً للألم من جديد ، فعندما اقتررب من الدير الذي كانت  
ترأسه القديسة ماكرين ، علم انها مريضة . واستقبله الرهبان  
الذين كانوا يعيشون في نفس المسكن تحت رعاية القديس بطرس

أخيه ، كما دتهم ، أما العذارى فانتظرته في السكسسية . وبعد  
الصلاة احتين رؤوسهن لكي يأخذن بركته ثم السحب في وداعة  
دون أن تبقى متنب واحدة ، حيث كن محجبات ، وإذ عرف أن  
شقيقته لم تكن ضمنهن ذهب لزوجتها في غرفتها ، فوجدها ترقد على  
الأرض فوق لوح من الخشب ، وكانت متجهة نحو الشرق حتى  
تستطيع أن تصل . ودار بينهما حديث حول القديس باسيليوس  
وحول المتاعب التي لاقاها القديس اغريغوريوس في عهد  
الامبراطور فالنس .

وهنا يروى المؤلف تفاصيل هذا اللقاء ثم بين كيف أسلت  
القديسة ماكرين ، الروح ، ويصف تفاصيل تجهيزها ودفنها  
ثم يقول :

وبعد أن قام القديس اغريغوريوس بما يلزم نحو شقيقته ،  
عاد إلى نيسا في نهاية سنة ٣٧٩ . ومكث هناك إلى أن تحسن الجو  
ليتمكن من زيارة بلاد العرب وفلسطين . وخوّل له الامبراطور  
حق استعمال العربات الرسمية في الرحلة . ووضعوا عربة تحت  
نصرته ، كان يستخدمها مع رفقاته كما تستخدم السكسسية أو الدير ،  
يرتلون فيها المزامير أثناء الطريق وهم ملازمون الاصوام .  
وزار بلاد العرب ثم بيت لحم والجلجثة وجبل الزيتون والقبر

القدس ، حتى يشبع ميوله للتقوى . واسكنه وجد هناك فوضى  
وفساداً كثيراً بين أهالي هذا البلد ، لدرجة أنه اعتبر أن هذه  
الزيارة خطيرة ، ولا سيما بالنسبة للنساء . ولرجال الدين الذين تعرض  
فيها فضيلتهم للخطر . وقد شرح ذلك في مقال في أسلوب رسالة ،  
ولم يكن يعيب الزيارات إطلاقاً ، فقد قام بالزيارة هو نفسه ، ولكنه  
أشار إلى أخطارها . ولم تكن أحوال الكنيسة في حالة أفضل مما  
كان عليه الأهالي ، بالرغم من غيرة القديس كيرلس أسقف  
أورشليم . ولم يكن القديس اغريغوريوس أكثر نجاحاً في إصلاح  
هذه الكنيسة ، واضطر إلى الرجوع منها ، دون أن يكون قد فعل  
شيئاً سوى زيادة جدرانها بصلاصح فينه النبيلة وبمجهوداته  
الشجاعة .

وفي السنة التالية ، سنة ٣٨١ ، حضر مجمع القسطنطينية الذي  
كان يتكون من أساقفة شرقيين فقط ، واسكنه صار بجماً مسكونياً  
لأن كل الكنيسة اتبعت قراراته . وفي سنة ٣٨٢ حضر بجماً آخر  
في القسطنطينية حيث ألقي خطاباً رائعاً حول ألوهية الابن والروح  
القدس . وبعد ثلاث سنوات ، سنة ٣٨٥ ، اضطر إلى العودة إلى  
المدينة الامبراطورية ليحكّم بها وقتاً طويلاً . وهناك ألقي خطابين  
أحدهما في رثاء الاميرة الشابية « بولشيري » Pulchérie ابنة

الامبراطور تيودوسيوس ، والآخري في رثاء الامبراطورة ،  
زوجة تيودوسيوس الاولى ووالدة « بولشيري » .

وعندما رجع قدينا إلى نيسا ، لم يجد راحة بسبب « هيلاد »  
Bellade أسقف قيصرية الذي خلف القديس اسيليوس شقيقه ،  
وكان ذاك رجلاً قلقاً مثيراً للقلق ، لا م له إلا اضطهاد أهل  
سلفه القديس وأصدقائه وجلب التعب لهم . وبالرغم من صبر  
القديس اغريغوريوس ونواضعه ، اضطر إلى أن يعبد إلى القديس  
« فلافيان » Flavian بطريرك أنطاكية بأمر العناية بجمايته من  
مهاجرة « هيلاد » له ظلاً وعدواناً .

وفي سنة ٣٩٤ حضر القديس اغريغوريوس بجماً آخر في  
القسطنطينية من أجل تدشين كنيسة « روفان » ، وجلس بين  
المطارنة ، وقد منح هذا الامتياز الكبير نظراً لشخصيته واستحقاقه  
وكان كرسية الاسقف صغيراً . ولم يعرف بالضبط تاريخ نيابته ،  
إلا أنه كان فيما بين سنة ٣٩٤ وسنة ٤٠٤ .

وله مؤلفات كثيرة جداً ترجمت إلى اللغات الأوروبية .

+++